



وَمِنَ السُّبُلُ النَّافِعَةُ فِي اجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ وَائْتِلَافِهَا:

التعاون، فالMuslim قويٌّ بإخوانه ويحتاج إلى من يعينه في أموره الدنيوية والأخروية ومهما كان قوياً في دينه ونفسه فإنه لا يستغني عن المعين، فهذا كليم الله موسى عليه السلام طلب من الله مُعيناً له في طريق الدعوة عندما قال:{وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي} (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا [طه: 29].

وإذا كان أهل الشر يتعاونون على باطلهم فما بال أهل الحق لا يتعاونون ، وقد قال الله تعالى :{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: 2]. والتعاون يكون ببذل ما تميز به المسلم لإخوانه ، فالعالِمُ يبذل علمه، والغني يبذل ماله ، والقوى قوته ، والسياسي سياسته وهكذا .

وبتحقيق هذا التعاون نستفيد من جميع القدرات المتوزعة في الأمة، فلا يبقى فردٌ معطلٌ لا يشارك في نهوض الأمة وانتصاراتها، حتى المرأة العجوز في البيت ينتصر بدعائها وصلاحها جيوش!! كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : "أَبْغُونِي ضُعْفَاءَكُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنَصَّرُونَ بِضُعْفَائِكُمْ".

وبهذا التعاون نحقق التكامل في الأمة فلا يمكن أن تُخْتَصِرَ الأمة في رجلٍ أو نوعٍ واحدٍ من العمل الصالح الذي يتقرب به إلى الله ، إذ هي واسعة المساحة من حيث العدد والعدد ، والميول والمواهب ، فكلٌّ ميسُرٌ لما خُلِقَ له ، وكلُّ مسلمٍ على ثغرٍ يربطه عليه ويحرسه ، وكلٌّ يحسن عملاً قد لا يحسن الآخر ، فكان لا بدًّ من التنوع المتكامل المتألف لا المخالف المتناكر. ومن هنا كانت هذه الأمة بمجموعها كاملةً المawahب والقدرات، وبرز ذلك في مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم ، إذ قد

تنوعت قدراتهم وموهبتهم وتألفت ، وشكّلت نسيجاً واحداً متناسقاً .

فهذا في الحفظ والرواية كأبي هريرة رضي الله عنه ، وهذا في التفسير والبيان كابن عباس رضي الله عنهم ، وهذا في الفقه واتباع الآثار كابن عمر رضي الله عنه ، وهذا في معرفة الفتن وحفظ الأسرار كحنيفة رضي الله عنه ، وهذا في الزهد كأبي ذر رضي الله عنه ، وهذا في الجهاد والقتال كخالد بن الوليد رضي الله عنه ، وهذا في القيادة والسياسة كالخلفاء الأربعة وغيرهم كثير، وليس المقصود الاستقصاء والحصر ، وإنما إبراز هذا التنوع التكامل ، فلم يكن يوماً ما تصادمياً حزبياً ، فلم يكن خالد بن الوليد يذم ابن عباس لجلوسه في حلقة العلم ، ولم يكن ابن عباس يذم خالداً لأنه ليس له فتوى في العلم ، بل كلُّ كان على ثغر يرابط عليه ، فابن عباس يفتى ، وخالف بن الوليد يدفع الأعداء في ساحات القتال ، ولم يقل أحد منهم: "لا يُفتي قاعدٌ لِمَجاهِدٍ!!".

ومن هنا كانت غالب التجمعات الدعوية في عصرنا الحاضر تجمعات حزبية متنافرة ، وذلك أنها عكفت على نوع من الدعوة ، وأهملت الأنواع الأخرى ، ثم ذمت الآخرين الذين لم يشاركونها في ذلك ، فمنهم من اشتغل بالسياسة ؛ فهو يذم من اشتغل بالعلم والجهاد ومساعدة الأرامل واليتامى والمساكين ، وقالوا : السياسة قبل الله أكبر ولا يمكن أن تنهض هذه الأمة إلا بالسياسة ، ومنهم من اشتغل بالجهاد مطلقاً دون النظر إلى حال ضعف أو قوة ، ونوعى على غيره أنهم قاعدون مثبطون مداهنوون ، وبعضهم قد اشتغل بالعلم لكنه جعل بينه وبين الآخرين حاجزاً، لا يخالطهم ولا يرشدهم بل ولا يعرفهم فهو يظن بهم ظن السوء.

وفي الثورة الشامية أوحى الشيطان إلى بعضهم فجعل من في الداخل معادي لمن في الخارج ، والمقاتل يعادي السياسي والشباب للمشايخ!! وهكذا في سلسلة من التناحر والتناكر والعجب بالعمل والتعصب له وازدراء الآخرين الذي نهايته الفشل والهزيمة.

بل نقولها ونعلنها ويجب على الجميع إعلانها فالداخل والخارج أخوان نصيران، ومثل ذلك المقاتلون والسياسيون ، والشباب والشيوخ ، بل الخنادق والفنادق !!

فلولا الداخل لما قامت ثورة ، ولو لا الخارج لما استمرت !! فليت الله قومٌ نفع في عقلاهم الشيطان وليستعينوا بالله منه ، وليتواضعوا لله ، فكما أنك على ثغر تحسنه فغيرك على ثغر يحسنه ولا تحسنه أنت.

وينبغي أن نعلم أن أعداء الله قد اجتمعوا علينا من كلِّ فجٍّ عميق من الصليبيين والباطنيين والصفويين بل الخارج المارقين!! فيجب علينا أن نحقق الاصطفاف السنّي حتى نصدَّ هذه الهجمة الشرسة بإذن الله تعالى وبعونه وحوله وقوته.

والتعاونُ لا يشترط له الاتفاق في المنهج به في الدين، بل يجوز التعاون حتى مع الكافر والمبتدع الضال إذا كان ذلك يحقق مصلحة شرعية راجحة كما قرر ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله فقد قال في معرض كلامه عن الفوئد الفقهية من صلح الحديبية في "زاد المعاد في هدي خير العباد" (3/269): "وَمِنْهَا: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْبِدَعِ وَالْفُجُورِ وَالْبُغَاةِ وَالظُّلْمَةِ إِذَا طَلَبُوا أَمْرًا يُعَظِّمُونَ فِيهِ حُرْمَةً مِنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، أَجِبُوهُ إِلَيْهِ وَأَعْطُوهُ وَأَعْيُنُوهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ مَعَوْهُ غَيْرُهُ فَيُعَاوَنُونَ عَلَى مَا فِيهِ تَنْظِيمٌ حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا عَلَى كُفُرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، وَبِمُنْفَعَةِ مِمَّا سَوَى ذَلِكَ، فَكُلُّ مَنِ التَّمَسَّ الْمُعَاوَنَةَ عَلَى مَحْبُوبِ اللَّهِ تَعَالَى مُرْضِيًّا لَهُ، أَجِبَّ إِلَى ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ، مَا لَمْ يَتَرَبَّ عَلَى إِعْانَتِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَحْبُوبِ مَبْغُوضٌ لِلَّهِ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَهَذَا مِنْ أَدَقِ الْمَوَاضِعِ وَأَصْعَبِهَا وَأَسْقَفَهَا عَلَى النُّفُوسِ".

وليس معنى التعاون السكوت عن الانحرافات والضلالات! وخاصةً ما يتعلق بأصول الدين من التوحيد والسنّة وفي الشرك والبدعة، ولكن الدعوة تكون بالأسلوب الأمثل كما قال تعالى: {إِذْ أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُؤْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالْأَقْرَبِ} [النحل: 125].

ومن المناسب هنا أن نتحدث عن قاعدة الشيخ محمد رشيد رضا والتي وصفها بالذهبية! وتلقفها بعض الدعاة والجماعات

وطرودها وهذه القاعدة هي:(نجمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضا بعضا فيما اختلفنا فيه). والناس فيها طرفان ووسط فمنهم من جحدها مطلقا لما فيها من الاطلاقات الباطلة، ومنهم من أعملها مطلقا حتى مع المخالفين من الكفار والمبتدعة الصالين!! وخير الأمور وسطها، فلا تقبل هذه القاعدة مطلقا وإنما يفصل فيها ،فما كان من معنى حق قبلناه، وما كان من معنى باطل رددناه.

فقول:

- 1- هذه القاعدة ليست وحياً معصوماً بل هي من كلام البشر الذي يعتريه الخطأ والصواب وأقوال الرجال يحتج لها ولا يحتاج بها.
 - 2- الاجتماع والتعاون فيما اتفقنا عليه فلا مانع وهو بحسبه فقد يكون واجباً أو مستحبـاً بشرط أن يكون ما اتفقنا عليه مشروعـاً.
 - 3- وأما الخلاف إذا كان بيننا وبين الكفار أو أهل البدع فلا يجوز لنا أن نعذرـهم بل نردد باطلـهم ونبينـه ونحكم عليهم بما يليـق بكلـامـهم. وللأسـف بعضـهم أعملـ هذه القاعدة حتى معـ الرافـضة فـسـكتـ عنـ ضـلالـهم باـسـمـ التـقارـبـ!!!
 - 4- وإنـ كانـ الخـلافـ فيـ دائـرـةـ أـهـلـ السـنـةـ فيـعـذرـ بـعـضـنـاـ بـعـضـاـ،ـفـلاـ تـأـثـيـمـ وـلـاتـضـلـيلـ،ـوـلـكـنـ لـامـانـعـ منـ الرـدـ العـلـمـيـ عـلـىـ المـخـالـفـ بالـدـلـلـ معـ الـاحـتـرـامـ،ـوـمـاـزـالـعـلـمـاءـ يـرـدـونـ وـيـصـحـحـونـ وـيـعـتـذـرـونـ.
- نـسـأـلـ اللـهـ أـنـ يـجـمـعـ قـلـوبـنـاـ عـلـىـ التـقـوىـ وـأـنـ نـتـعـاـونـ عـلـىـ الـبـرـ وـالـتـقـوىـ وـلـاـ نـتـعـاـونـ عـلـىـ الإـثـمـ وـالـعـدـوـانـ وـالـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ.

نور سورية

المصادر: